

2013

تنظيم السقي بالجنوب المغربي : ساقية واحة أساكا بقبيلة اصبويا بين مضامين العرف والدلالة الحسية

الحاج رايجان
باحث في التاريخ، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [History Commons](#)

Recommended Citation

رايجان, الحاج (2013) "تنظيم السقي بالجنوب المغربي : ساقية واحة أساكا بقبيلة اصبويا بين مضامين العرف والدلالة الحسية," *Dirassat*: Vol. 16 : No. 16 , Article 5.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol16/iss16/5>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

تنظيم السقي بالجنوب المغربي:

ساقية واحة أساكا بقبيلة اصبويا بين مضامين العرف والدلالة الحسية

الحاج رايجان

إطار بجامعة تركي وساي

باحث في التاريخ

ملخص

إن المجال المقترح للدراسة « واحة أساكا » رغم ضيق مساحته الجغرافية، وإخضاعه من قبل مشروع البحث المقترح للتجزئة عن مجال العام : ايت باعمران . يعد من الأمكنة التاريخية التي هي بحاجة إلى الاستنطاق والدراسة والتمحيص لتفكيك غموض الملابس التي تلف تداعيات تاريخها البشري السياسي العسكري والاجتماعي الاقتصادي .

ومحاولة قراءة موجزة لنموذج مرجعيات السبق التاريخي إلى تنظيم السقي بواحة أساكا بين مضامين العرف والدلالة الحسية، اعتمد منهاجا بسيطا هدفه تسليط الضوء على مقارنة نوعية تعتمد الإرث التاريخي الحضاري لتنظيم مجالات السقي بالجنوب المغربي في ظل ندرة الوثائق المكتوبة والمصادر المحلية، في حين تبقى المعطيات المحصل عليها مرهونة بمضامين البعد الحسي لبعض الأعراف التنظيمية والمقابلات الميدانية التي ارتأينا الاعتماد عليها للخروج بتصور مبسط عن إشكالية السبق التاريخي لعدالة وقسمة منابع الماء بالمجال المدروس، وذلك باعتمادنا للمنهج التالي:

- مقارنة الوضع الميداني والرواية الشفوية من خلال تجربة الاحتكاك المباشر بالحياة العامة لسكان الواحة وارتباطهم الفطري بالمجال المدروس: قدسية الأرض والماء واحترام تطبيق العرف التنظيمي لمجالات السقي عبر صيرورة موروثه التاريخي .
- اعتماد دراسة مضمون عرف ساقية الخلط⁽¹⁾ بواحة أساكا، ومقارنة إفاداته وقرائن معطيات مستوياته الشكلية والضمنية للوصول إلى مرجعية السبق التاريخي لقسمة الماء بمجال الواحة.
- محاولة الخروج بمقارنة حسية لفهم التمازج والتوافق التاريخي الذي تزخر به الذاكرة الشعبية من روايات شفاهية ومقاربتها بمصادر الكتابات التاريخية، بهدف الوصول إلى تصور افتراضي حول أصول السبق التاريخي لعملية قسمة وتوزيع مياه السقي بواحة أساكا.

- اعتماد فكرة المساهمة الجزئية في تكريس تواصل معرفي يؤسس للاهتمام بجمع التاريخ المحلي وتوظيفه لخدمة العمل الجماعي والتنمية الذي يفتقر إلى هذا النوع من الإسهامات.

تقديم

إن المتتبع لمسار تاريخ الجنوب المغربي، لا يمكن أن يجزم بخط قلم، وينكر صيرورة الأحداث التي سطرت لنجاح استمرارية التجمعات البشرية وتكافلها الاجتماعي وتأطيرها السياسي العسكري ما بين وادي درعة ووادي نون بالأطلس الصغير الغربي. هذه المحطة التي شهدت منذ فجر تاريخها بنية اجتماعية معقدة، ومؤشرات اقتصادية متفاوتة، وسياسة عسكرية متنافرة قلما اتسمت بالهدنة. وقلما جعلت من تعاقب الغور السكاني⁽²⁾، يراوح بين محطات الاستيعاب والمجابهة، وبين تجميع وتنظيم قدراته الدفاعية والاندفاعية لضمان توازن نفوذ استقراره بالمنطقة.

إن توالي الأحداث بالجنوب المغربي، لم تخرج مستجداته عن السياق التاريخي لمنطقة الشمال الإفريقي والتوازنات العامة للمخزن المغربي، باعتباره جزءا من إرهابات التغيير التي بلورت نسج السياسات المتعاقبة على حكم المغرب منذ عهد المرابطين إلى المرحلة العلوية وتكالب التهافت الأوربي. وهي فترة على امتدادها، ارتبط تطور سياقها التاريخي بأطراف الجنوب المغربي.

ومن جملة هذه الإرهابات والتأثيرات التي شكلت مستجداتها التاريخية نقط تلاقح وتواصل ما بين التجمعات البشرية والغور السكاني الذي ساهم بدرجة فاعلة في صنع مسار تاريخ المغرب، نطرح إشكالية الاستباق إلى عدالة الماء، وما تجود به العيون والآبار عند التجمعات القبلية: النواة والتأسيس، طرق التدبير وكيفيات الاستغلال...، لذلك فإن طرحنا لساقية واحة أسكا⁽³⁾

(2) يقصد بالغور السكاني، التجمع البشري الذي عرف تجددًا وامتدادًا تاريخيًا بمنطقة معينة وتميز بتكوين النواة والنشأة والتطور ثم الأفل.

(3) توجد منطقة أسكا بالجنوب الغربي لنهايات الأطلس الصغير الغربي، وهي مجال فاصل بين منطقة وادي نون وايت باعمران، وقد تناولتها الكتابات والمصادر التاريخية بإفادات وجيزة، فأشارت إليها منذ العهد الفينيقي باسم: «وكالة أسكا التجارية» حيث سجلت نصوص الكتابات الفينيقية رحلة الأميرال القرطاجي: حانون إلى شاطئ واد أسكا. كما اعتبرتها كذلك واد بالصحراء المغربية، وقعت عنده معركة رد فيها المغاربة محاولة إسبانية غازية تستهدف إقامة تحصينات عند مصب أسكا قادها على رأس أربعمائة جندي من جزر كناريا الحاكم العام لإفريقيا ألونثوفير نانديث ذي لوكو وذلك عام: 1500 م. كما شكلت في مرحلة لاحقة، نقطة التباس للتاج الإسباني في تحديد الموقع الحقيقي: «سانتا كروز ذي مار بيكينيا (Santa Cruz de Mar Pequenà، الصليب المقدس للبحر الصغير)» والذي شيد في ثمانينات القرن الخامس عشر الميلادي على أيدي البعثات التجارية الإسبانية بالساحل الغربي، وجعلت منه نقطة إستراتيجية ومدخلا للاتصال والمتاجرة مع الغور السكاني. وهو الموقع الذي ظلت تبحث عنه إسبانيا منذ القرن التاسع عشر تبعًا لزعماها في الحق التاريخي على السواحل المغربية وفق ما سجله البند الثامن من اتفاق تطوان سنة 1860 م.

يندرج في صميم إشكالية تنظيم مجالات السقي بالجنوب المغربي، وهو جزء من إشكالية السبق التاريخي لعدالة الماء وتنظيم قسمته.

I. الإرث التاريخي لمرفق الماء بساقية واحة أساكا

تعد الامتدادات الطبيعية والبشرية لمجال واحة أساك، الوحدة الجغرافية الانتقالية بين ثنائية الجبل والصحراء، والوحدة الاثنية المتذبذبة بين ازدواجية الانتماء إلى النسب القرابي الباعمراني الصنهاجي والنسب التكني المعقلي، من بين المناطق المتشعبة التي يصعب تناول وضبط تاريخها القديم. بحيث أن كل ما وصل من معطيات عن هذا المجال، يبقى حبيس العموميات التي تناولتها المصادر القديمة خاصة الكتابات الرومانية. الأمر الذي يدفع بالباحث إلى السقوط في شباك الأسطورة ومغالطة اليقين بالاشك عند محاولته لتبرير مصداقية الإفادات والقرائن التي جادت بها هذه المصادر في ظل غياب معطيات مأخوذة عن مصادر محلية منعومة⁽⁴⁾. إلا أنها إجمالاً معطيات لعموميات شاملة تفتح أفق البحث المعرفي.

في حين، نجد أن المصادر العربية ومجمل كتابات الرحالة والجغرافيين قد ظلت حبيسة معطيات وصفية شاملة، لم تع هامشية التخصص لارتباطها بمنهج الرواية والملاحظة، وعدم تناول أخبارها لشؤون القبائل وهموم العامة، وبذلك تكون قد أهملت مبدأ الصرامة المنهجية لاقتصار مضمون إفاداتها على تواتر الأخبار والأحداث البارزة دون المبالاة بهامش الأمور البسيطة، التي كان من الضروري اعتبار مستجدات أحداثها كنقط تماس وتلاقح لما لها من دور في تغيير صيرورة العديد من الأحداث والتواريخ. لكن تبقى صبغة معطى الإفادات والقرائن المتوفرة، ولو بإسهاب وجيز وعام، زاخرة بالدلالة الحسية لتفتح أمام الباحث والمهتم أفق المقاربة والتمحيص والاطلاع على ما تكتنزه هذه الكتابات حول تاريخ المنطقة.

في حين تبقى دلالة الفونيم «أساكا»: بلفظ أمازيغي يستند على أساس الوضع الطبوغرافي بمدلول معناه: الدلالة عن أقرب مسلك و منفذ لمكان معين، أو معبر لمر نهري، وما يطابق هذه الإحالة ميدانيا وحسب طبوغرافية المجال أقرب فج وأسلك معبر للوصول إلى شاطئ البحر (شاطئ فم واد أسكا). كما هو الملاحظ في كون الأماكن المغربية المسماة عامة بلفظ «أساكا» تتمركز فقط على الأنهار والوديان.

انظر معلمة المغرب : «مادة أسكا» الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزء الثاني، نشر مطابع سلا: 1989/1410.

(4) - المجالات الترابية للجنوب المغربي مازالت بحاجة إلى دراسة ميدانية و اركيولوجية للوقوف على نتائج تاريخها البشري القديم.

لقد أقرت الممارسة عن طبيعة المعاملات الاجتماعية والاقتصادية بمجال الصحراء والواحات، والمجالات التي تسير على تدبير ثنائية الأرض والماء، مسألة تفيد في جوهرها جملة وتفصيلا، بأن ما تجود به عيون الماء من خيرات ليس حقا مشاعا للمستقر ولا لعابر السبيل، بل لكل قبيلة آبارها ومضاربها تعود إليها مرة في السنة أو كلما دعت الضرورة إلى ذلك. ومن المسلم به أيضا، أن ثروة منابع الماء بمجال واحة أسكا، قبيل استغلالها، كانت حكرًا على تجمعات بشرية متجددة لم تعرف استثمارا اقتصاديا محدد المعالم، بل إن ما فاضت به مياه العيون يصرف صبيبه بوادي أسكا الذي التصق مجازا بطبونومية مجال الواحة.

إن تجدد وتوالي الغور السكاني المقترن بتداعيات الاستيطان والعمارة بالواحة، يؤكد دون شك، ميلاد فرضية سبق والاستباق إلى عدالة الماء وقسمته بالساقية وبداية النواة الأولى لبلورة فكرة تأسيس تدبير وتسيير شؤون مرفق هذه الثروة المائية على المستقرين. وهو أمر وارد، يطرح أمام الباحث أكثر من فرضية وتساؤلات للإجابة عليها وفك الغموض الذي يلفها⁽⁵⁾:

□ متى سجل الغور السكاني أول سبق تاريخي لقسمة منابع الماء بواحة أسكا؟

□ كيف تقترن البداية الأولى لعملية القسمة والتنظيم لمشروع توزيع حصص مياه عيون واحة أسكا بعامل استقرار التجمعات البشرية؟

□ هل يمكن بأن نعتبر عامل التحركات والهجرات القبلية المسترسلة مبادرة لمشروع القسمة، وهل اقترن تنفيذه بمسألة تطوعية واختيارية أو بمسألة إلزامية ارتبطت بدوافع الصراع الخارجي بين القبائل الرامية إلى الرغبة الحماسية في حيازة تملك مؤهلات وخصائص هذا المجال؟

□ لمن ترجع مسألة أصول سبق التاريخي في تبني مشروع قسمة الثروة المائية لعيون واحة أسكا، إذا سلمنا قطعًا بانتماء آل اصبويا⁽⁶⁾، القبيلة المستوطنة

(5) جاء حصر هذا النوع من الإسهامات على ضوء حصيلة المقابلات والمعطيات الميدانية المسجلة عن تنظيم الساقية بواحة أسكا.

(6) قبيلة تقطن بالجنوب الغربي لنهايات الأطلس الصغير في حدود قبائل تكنا بوادي نون، وهم يعرفون أنفسهم بالانتماء قبل الاستقرار بأيت باعمران إلى مجموعة رحلية تعرف بأولاد الدليم إحدى القبائل الرحلية المنتجة جنوبا بالصحراء إلى جانب الركييات ولعروسيين وأولاد بن السبع ذات الأصول العربية، من نسب عرب معقل، التي لا تتكلم إلا العربية، كما تميزت بالترحال والعيش تحت الخيام وحمل السلاح والفروسة. ولعل الروايات تختلف حول الجد الأسمى لخطاطتها القرابية، فإذا كان الأصل يعود إلى حسان، فإن هناك من ينسبهم إلى أودي بن حسان، بينما تذهب بعض هذه الروايات إلى اعتبار دليم هو ابن أودي، من نسب حسان بن مختار بن محمد بن معقل عن مجموعة بني حسان، من بطون بني معقل، الذين أصبحوا سكان الصحراء الغربية بعد أن زاحموا برابرة صنهاجة فطاردوا بعضهم واندمجوا في البعض الآخر، لقد حازت أولاد الدليم الرقعة الترابية بوسمارة التي تحد جنوبا منطقة أسكا والنواحي، تبعًا لعقد مؤرخ بسنة:

الحالية إلى مشجرة قبيلة أولاد دليم من ذوي حسان ، وهي فئة المحاربين من حملة السلاح بالصحراء؟ ومن هو التنظيم القبلي الزاوي عن فئة أهل الكتب الذي يمكن أن تنسب إليه مسألة تدوين وكتابة هذا السبق؟ و ماهي مرجعياته؟

□ هل يمكن أن نعتبر مشروع قسمة عيون واحة أساكا، مشروعاً ناجحاً حاز صفة الإجماع القبلي؟ أم عرف معارضة محلية لعدم تكافؤ حجم وفرص الحصص الموزعة؟



أشغال الحفر والبناء في إطار السخرة التي مارستها فرنسا على الإنسان القروي

1. تنظيم السقي بواحة أساكا

لقد شكلت ينابيع الماء، أهم المؤشرات المساعدة لقناعة مجتمع الساحل والصحراء في إذكاء تدريجي لنزعة الاستقرار وتوظيف مهاراته السياسية والعسكرية بغية حيازة الأراضي وتوطيد الاستيطان بمجالات شغلها امتداد نفوذه، فكل قبيلة تحوز وتجوب على مدار السنة شعاب الوديان والصحاري، ولكل الآبار والعيون موعد سنوي يضرب في مجاباتها ووديانها لقاء القبائل. ومن جهة أخرى، فقد سجلت عيون

987هـ/1579م، يؤكد تفويت اذاو بلال موطنهم المسمى بوسمارة جنوب أساكا على حدود قبائل تكنا .

• انظر كل من : مصطفى ناعمي : « الصحراء من خلال بلاد تكنة : تاريخ العلاقات التجارية والسياسية » مطابع عكاظ الرباط 1988

• علي المحمدي « السلطة والمجتمع في المغرب : نموذج ايت باعمران » دار توبقال للنشر 1989

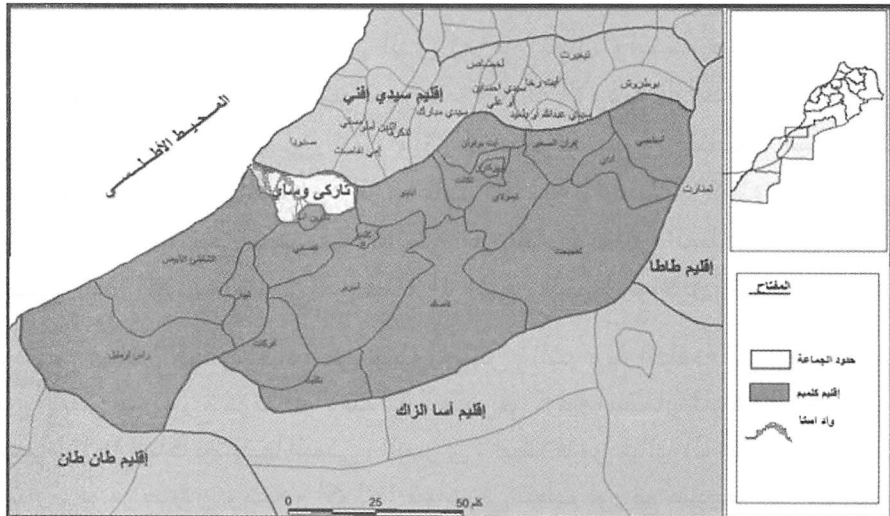
الماء والآبار بامتياز يشهد له، التحامها التاريخي بظاهرة الهجرات الموسمية والتنقل المسترسل للقبائل الرحل وحتى المستقرة منها خاصة التي عملت على تأمين وسلامة محاور تجارة القوافل التاريخية بالصحراء⁽⁷⁾، وعبر محطات العبور ومراكز التبادل الموسمي عهد نشاطها التجاري مع السودان الغربي.

فانتعاش جريان المياه الدائم على السطح، وزيادة منسوبه بضواحي ومداسر وادي نون، كانت تغذيه باستمرار الفرشة الباطنية لمنخفض كلميم، التي ظلت إلى زمن غير بعيد- قبل غورها وجفافها- منبع الحياة للقبائل القاطنة والمتجددة، خاصة عيون: بوجريف، أساكا، تلوين، تسكنان، الدشيرة، واعرون، عبودة، أم ايفيس، الشويخات، تكاوست، ايكيسل، تغمزت، أسرير...⁽⁸⁾، وهي مجالات امتازت بعيون عذبة الماء وفيرة الظل، عملت على توالي تجدد واستقرار تجمعات بشرية انتظمت بفطرتها وعصبيتها، واعتمدت على الماء في تغذية الأراضي الشاسعة وتوفير شروط ملائمة لممارسة أنشطة اقتصادية ساهمت في رص الصفوف الدفاعية وتحقيق الاكتفاء الذاتي للقبائل القاطنة ولقطعان الماشية والخيول والإبل. لقد ساعدت عوامل الجذب، بدرجة وبأخرى، في جعل منسوب الثروة المائية محط سبق وتنازع له أهميته القصوى، وقديسته البالغة في هذا الوسط الانتقالي المترامي بين واحات الصحراء، كما هو الشأن بالنسبة لسواقي سهوب درعة وسهول سوس. فقد خضع تأطيره القبلي لتقنيات الري التقليدية المقترنة بتداعيات الحرم المقدس لمضامين العرف المحلي تدبيرا وتنظيما، وفي ضبط توزيع الثروات المائية وتحسين ملكيتها الجماعية من الاعتداء والتناول الذي يعيق سير تنظيم مرفقها العادي. وعموما، فقد ارتبطت ينابيع الماء في توزيعها المحكم بظروف تنظيمية مختلفة، تعد ظاهرة متميزة بواحات وادي نون وضواحي المداشر والقرى المحيطة به. فما هي ملابسات وتداعيات سبق إلى تنظيم هذه الثروة الطبيعية؟ وماهي الأصول التاريخية لمرجعيات عملية توزيعها وقسمتها بالواحة؟

(7) تسمى بعملية خفر القوافل ويشار إليها في مجتمع الصحراء بوظيفة الزطاط أو أغفار. إذ لكل قبيلة مضارب نفوذها تعمل فيه على توفير شروط الأمن والمرور للقوافل التجارية المحمية.

انظر كذلك: ذ. خديجة الراجي: «التجارة الصحراوية ثوابت ومتغيرات» دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2010

(8) بعض من المداشر المتواجدة بضواحي منطقة واد نون: كلميم، والتي عرفت أوجه نشاطها وازدهارها مواكبة مع حاضرة تكاوست، منها مازال يعرف تراقصا بشريا ومنها ما أصبح ظللا ينتظر من الباحث إلى قراءة ماضيه وتصنيف معطياته الأركيولوجية الصامتة.

شكل رقم 1: الموقع الجغرافي لواد أساكا بجماعة تركى وساي⁽⁹⁾

موقع واد أساكا بجماعة تركى وساي

2. منابع الماء ومؤهللات الاستقرار بواحة أساكا:

إن مجمل المؤشرات الثابتة والمسلمات التاريخية في إقرار تنظيم الثروات المائية بواحات وادي نون عامة، توازيها كذلك، تطورات مغايرة ومساهمة ساعدت على توفير شروط ملائمة لاستقرار الغور السكاني والتنظيمات القبلية المتجددة بالأراضي الخصبة لواحة أساكا، خاصة قبيلة اصبوياء: التنظيم القبلي الذي استفاد من اعتماد نظام التقسيم المائي بالواحة، بعدما تهيأت له شروط تاريخية ملائمة تحدت في تغيير ظروف وضعه الانتقالي من وضعية حمل السلاح الاندفاعي بمجال الصحراء إلى امتحان نمط الاستيطان والانتجاع الدفاعي عن مجالات نفوذه الجديدة واعتماد مناسط الفلاحة والرعي. بحيث أن ما وصل عن بداية النواة الأولى لتنظيم القبيلة (اصبوياء) وما واكبه من تطورات في رص صفوفها الاستيعابية، ودورها الاحتياطي العسكري المرافق للنشاط التجاري التاريخي بالمنطقة الذي تأسس على تغيير الجزء الشمالي الغربي من محور التجارة القفلية مع حاضرة تكاوست⁽¹⁰⁾. قد انتهى بتقادم العهد من مهمة الاستي عاب والارتراق العسكري إلى الانتقال التدريجي نحو الاستقرار تم السبق لتوظيف مؤهللات وخصائص مجال واحة أساكا و تنظيم استغلاله.

(9) المصدر: المخطط الجماعي للتنمية: 2011/2015 مأخوذ من أرشيف الجماعة القروية تركى وساي.

(10) تكاوست حاضرة تجارية عرفت أوج نشاطها في إطار تجارة الذهب التاريخية مع إفريقيا خلال القرن 16م، وهو ما ذكره حسن الوزان في «وصف إفريقيا»، وقد جاءت على أنقاضها حاليا قرية لقصابي التي توجد غرب مدينة كلميم بحوالي 10 كلم.

من ناحية ثانية، فقد شكلت المؤهلات الطبيعية بامتياز، عامل جذب مهم في تطور هذا الوضع الانتقالي، خاصة تميز المنطقة بجغرافية جبلية ذات مواصفات تحصينية ودفاعية، تمثلت في شدة التضرس الذي يعرفه المجال وانحداره نحو السافلة باتجاه مستوى البحر، والذي عمل على تصريف حمولة الأودية الرافدة⁽¹¹⁾ إليه في تغذية الفرشة المائية المتميزة بالجريان الدائم وبزيادة منسوب عيون الينابيع، مما ساعد على استثمار واستغلال الأراضي في الزراعات المعاشية وضبط الاكتفاء الذاتي للمداشر والقرى المجاورة، وفي تصريف الفائض من المياه لإنعاش الغطاء النباتي والمراعي وتحسين عدة الكسب الحيواني من قطع المواشي والخيول والإبل.

وتعتبر عوامل الجذب هذه، من جملة المعايير والشروط الدافعة إلى جعل تنظيم قبيلة أصبوريا يعتبر ضرورة مرحلته الانتقالية للتفكير في كيفية استثمار المؤهلات والخصائص الطبيعية لواجهة أسكا بوظيفتيها اليمنى واليسرى. انطلاقاً من عالية الوادي، حيث نجد عين أسرسار، بومرصيدن ومجمع أكوك، تساهم في تنظيم توزيع صبيبها عبر قنوات طينية مرتبطة بالاستغلال الزراعي، التي تشكل طبوغرافيتها المجالية سفوحاً ضيقة مكونة من ترسبات وتوضعات فيضية جرفتها الأودية على امتداد يتعدى سبعة كلمترات بمحاذاة الواجهتين، وبمساحة إجمالية تناهز 120 هكتاراً⁽¹²⁾. هذا المجال الترابي المجري اعتبر محطة استقطاب بشري سيؤرخ لبداية النواة الأولى لمشروع مجال الحوض المسقي، الذي خضع لممارسة مناشط الزراعة السقوية في شكل مشاركات/تواغيل واستغلاليات ضيقة، سوف يحكم تدبير مجالها عرف مسبق لإرث تاريخي منظم في توزيعه المائي وميقاته الزمني مقارنة بالتنظيم البشري الذي عمل على توظيفه واستثماره:

□ فماهي الإجراءات التنظيمية التي اعتمدتها التجمعات البشرية لاستثمار مؤهلات هذه الواحة؟

□ وكيف وظفت مجموع طاقاتها الإبداعية لبلورة فكرة السبق إلى عدالة منابع الماء بالساقية؟

(11) منطقة أسكا مجمع محوري لتلاقي روافد مائية موسمية هامة، تساهم في إغناءها الشبكة الهيدرولوجية لمجوع أودية وادي نون، من جهة الشرق نجد: واد أم العشار، واد صباد، واد بوكيلة وواركنون. إضافة إلى روافد أودية الجزء الشمالي الشرقي لأيت باعمران: واد أسرسار، واد الخروع، واد سيدي موح «انكمو» وواد أوتلاوك... وكذا روافد الجهة الجنوبية: واد ميزوة، واد بوسمارة، واد شعبة أم الشرك... والتي تصب جميعها بواد أسكا الذي يقطع المنطقة بشكل طولي باتجاه المحيط الأطلسي، مشكلاً انعراجاً ضيقاً ومتوسطة العمق ومتسعة باتجاه المصب عند الشاطئ.

(12) إحصائيات المديرية الإقليمية للفلاحة بكلميم عن حوض السقي بمجال تركي وساي. ومجالات هذا الحوض المسقي ضيقة ومجهريه لم تعرف أية توسعة استصلاحية للأراضي إذ أن ثنائية الأرض مع مايسقيها من الماء لم تتغير.



إن دراسة إشكالية السبق التاريخي لتنظيم ثروة الماء بواحة أسكا، سوف يمكن من الإحاطة ولو جزئياً، بملامسة ظاهرة اجتماعية واقتصادية تحيل بالضرورة في محاولتنا إنجاز تصورات عامة، ووضع مقاربات مرجعية حول تتبع الأصول التاريخية الأولى لعملية السبق في نظام قسمته وخصائص توزيعه. واستحضار بعض من المعطيات التي تزرع بها الرواية التاريخية والذاكرة الشعبية المحلية المتداولة⁽¹³⁾، التي تعتبر حرمة العرف المنظم قانوناً محكماً لتوزيع الثروة المائية وعصبا للتواجد القبلي واستمرار نفوذه.⁽¹⁴⁾

إن طبيعة النظام الحكم والمتبع في استثمار مؤهل الثروة المائية وتوزيعها المقترن بالأرض التي تكاد تكون مجهرية المساحة المستغلة، لم يكن عفويا أو اعتباطيا بقدر ما هو تنظيم اعتمد في جوهره منهجية اقتصادية صرفة وأرقاما بحسابات تكاد تكون معقدة⁽¹⁵⁾. تدعو الباحث والمهتم إلى ضرورة التأمل في منهجية حساباتها المتبعة التي

(13) تجربة ميدانية بإدارة الجماعة القروية تركى وساي منذ سنة 1994، ولقاءات مع مسنين صيف 2010.

(14) الروايات الشفوية المحلية متضاربة في الفهم والتمحيص تجسد-على زعم أهل الواحة- أسطورة محلية تحيل مجازاً إلى الفؤوس الخمسة التي تشيد منذ أزمنة خلت، بعدد أيادي الأفراد الذين كان لهم السبق في إصلاح وتأهيل منابع الماء، وشق السواقي الموزعة له على الاستغلاليات الزراعية بحسب فترات السقي المتداولة: فأس كيزي، مستي، إكرامن، إذ علي وعمر، لخراج، مفرد لكلمة فيسان (مفرد فأس) وهي المتداولة محليا للتعريف بفترات السقي بساقية وأحة أسكا، الأمر الذي سنعود لشرحه في هذه المقاربة.

(15) تقسيم ماء العيون وفق حصص وفترات لسقي الأراضي يتضمن عمليات حسابية رياضية معقدة ومنهجية اقتصادية صرفة يصعب على المبتدئ محاولة

فهمها واستيعاب أرقامها وأعدادها.

انتهت إلى تطبيق طرق تدبيرها، موازنة مع ضرورة الغور لغريلة وتفحص مضمون الذاكرة التاريخية والرواية الشفوية المحلية للفترة التي أنجزت فيها هذه القسمة وطبيعة الأدوار البشرية التي أحاطت بعمليات توزيعها.

وبالرغم من عدم توفرنا على الوثيقة العرفية الأم، المؤسسة للنظرية العامة لنظام قسمة الماء بساقية واحة أسكا - هذا إن كانت أصلا قد حررت لهذا الغرض، سواء من طرف شيوخ قبيلة اصبوياء أو غيرها من التنظيمات السابقة - فقد حاولنا أن نقصر على ملامسة جزء من الجوانب التالية:

- تتبع مضمون ما تكتنزه الرواية الشفوية المحلية، وطرح هذا المعطى في إطار عملية مقارنة تاريخية وميدانية.
- محاولة رصد بعض ملامح الغموض في مسألة أصول ومرجعيات السبق إلى عملية القسمة.
- مقارنة حصص ساقية أسكا بمضمون ما جاء في عرف ساقية الخلط بالضفة اليمنى للواحة.

وعلى اعتبار ذلك، فإننا سوف نستأنس بالروايات الشفوية المأخوذة عن كبار السن، والتي تعتبر المتنفس التاريخي الوحيد للمقاربة والتفحص مقارنة بسندها المرجعي في تواتر أخبارها واختلاطها أحيانا بسمه الطابع الأسطوري. لكنها تبقى في الغالب، مؤشرا يحيل على معطيات متميزة بإشارات المسهبة وخطا رفيعا يمكن للباحث أن يخلص فيه إلى دلالات حسية ومقاربات تاريخية أكثر شمولية. في حين، تنحصر دلالة المسودات وما يتداول من وثائق مكتوبة تتعلق بعملية التملك والحياسة بساقية واحة أسكا، في إشارات بسيطة لاتحمل شيئا عن أصول حصص الماء وعن كيفية توزيعه، بل اقتصر على تجاوز شديد على تداول عبارة متكررة وحيدة، قاسمها المشترك مبدأ توارث حيازة: « الأرض مع ما يسقيها من الماء صيفا وشتاء، ليلا ونهارا ».

فماهي العلاقات المشتركة للدلالة الحسية بين إفادات الروايات الشفوية المحلية والكتابات التاريخية حول مسألة السبق لعدالة الماء بواحة أسكا؟

II. الروايات الشفوية والمكتوبة

اعتمادا على ما يتداوله مضمون الروايات الشفوية السائدة حاليا بمجتمع أساكا⁽¹⁶⁾، نسجل تداخلا مرنا وممتنعا مع بعض الإفادات والمعطيات التاريخية التي وضعنا بها مقارنة إضافية لنظام قسمة وتوزيع منابع الماء بالساقية. في الوقت الذي تعاني منه المنطقة من ندرة رصيد الكتابات والمسودات العرفية التنظيمية، التي تؤسس لمرحلة تلك التحولات الاجتماعية الاقتصادية. وأمام هذا الوضع، فقد ارتأينا ملامسة الدلالة الحسية لما هو خفي في بعض الكتابات التاريخية ومقارنتها مع مضمون الروايات التي جادت بها الذاكرة الشعبية المحلية بهدف رصد استنتاج تقريبي لإشكالية ومسألة أصول السبق التاريخي لعملية قسمة مياه السقي بواحة أساكا، وذلك وفق إفادات الروايات التالية :

1. الرواية الشفوية المحلية

توافرت لدينا الرواية الأولى السائدة، والتي تفيد بأن أراضي وسواقي واحة أسكا كانت في سابق عهدها شبه إقطاع تابع لأحد الأمراء (تنتعه الذاكرة الشعبية المحلية وتربطه بشخصية السلطان الأكل⁽¹⁷⁾)، حيث كان يعمل على تدبير أملاكه بالواحة مجموعة من العبيد المسترقين⁽¹⁸⁾، كما هو الشأن بالأراضي المجاورة: ساقية تسكان، الدشيرة، تلوين، عبودة، أم إيفيس، الشويخات، واعرون... وبعد هلاك هذا السلطان، قررت زوجته بيع أراضي ساقية أساكا والتخلي عنها، فاشترها رجل يدعى « كيزي » يقال إنه جد لمرابطين. وقد استمر بدوره على نظام سالفه في الإقطاع والاسترقاق، حتى تعرض للغزو والإغارة من طرف تحالف السكان المستقرين: مستي، إذ علي وعمر واكرامن، فاضطر لمقاسمتهم أراضي الساقية بالتنازل، وبعدها اتفقت معه الأطراف المتنازعة على صلاح الساقية وإحداث جدولة قسمة الماء فيما بينهم. ومن ناحية مغايرة، تؤكد رواية محلية ثانية: أن أراضي واديون ماء واحة أساكا في معظمها أراضي خلاء عارية لم تعرف العمارة والاستيطان من قبل. وقد خصصها الغور السكاني السابق لقبيلة اصبوياء أراضي للانتجاع والرعي في المصيف ليتجه شتاء نحو المناطق الشمالية لها، بحيث يعود أصل استصلاح براريها والاستقرار بها إلى

(16) تجربة ميدانية ومقابلات ولقاءات مع مسنين صيف 2010.

(17) المقصود بالسلطان الأكل: أبو الحسن حفيد يعقوب المنصور.

(18) واكبت المرحلة نشاط تجارة الرقيق المتقدم من السودان إلى تكاوست، كما تشير إلى ذلك الكتابات التاريخية حول تجارة الرقيق واستغلال الموارد البشرية المتقدمة في الأنشطة الفلاحية بمنطقة وادي نون. وللإشارة فإن الطبونومية المجالية للمنطقة التي توجد بها ينابيع الماء بالواحة تحادي مرتفع جبلي يطلق عليه اسم: بيسكان أي أبو العبيد.

الأجداد الخمسة⁽¹⁹⁾، الذين يرجع لهم الفضل في شق سواقي ومصارف مائها بفؤوسهم التي وزعت ثروة ينابيع عين أسكا على أراضي ساقية تركي وساي بالصفة اليسرى في مرحلتها الأولى لحساب الكوائن المستقرة.

نسجل كذلك في رواية ثالثة، أكثر دقة وأكثر تنوعا من حيث الكم الهائل من المعطيات والشخصيات التي تتضمنها، والتي تعتبر أن وادي نون من ناحيته الغربية يعود لنفوذ قبيلة أيت باعمران، حيث تتواجد بركة مائية باتجاه مصبه مشكلة سدا طبيعيا، وخلال مرور السلطان الأكل (كما تتوحد الروايات الشفوية في لقبه) في طريقه إلى السودان أمر عبده بفتح تلك البركة حتى يمر الماء إلى أراضي وادي أسكا، وعملوا فيها أياما عديدة، فانفجرت عليهم البركة، وغرق الجميع، لیسى المكان إلى الآن: بيسكان/أبو العبيد، فتم بناء سد على وادي أسكا، وأوكل السلطان أمر تسييره إلى زوجته الزهرة بنت مبارك الحناوية الزفازية من قبيلة أزوافيض، التي قررت فيما بعد بيعه، فاشتراه المسمى أوكيزي الصباوي الباعمراني، وأصله من أزناكن، فاجتمع عنده أعيان أيت باعمران فسألوه عن سبب شراءه لأراضي أسكا رغم أنها شفعة لجميع أيت باعمران، فأخبرهم أن المعزى من ذلك، بدافع العصبية القبلية أمام قبائل الصحراء المجاورين والمتربصين بتملك المجال، فقرروا تقسيم الساقية، وعينوا الأمناء المكلفين بعملية التوزيع وهم: الشيخ سليمان بوتوميت من أبائنو وأصله من أيت إسيمور بأيت باعمران وأيضا الشيخ سيدي بن عزيزي بوادي نون، والشيخ حمو النعماي المستاوي، والشيخ مبارك بن الحسين، والشيخ المعطي الأيوبي، والشيخ النعيم بن همو، وبلقاسم بن براهيم بن موسى الرضاني. وتم قسمة المجال إلى 36 "تيرمت" والتي تعادل وحدة ميقاتها الزمني: الإستفادة من مياه السقي لمدة 12 ساعة: من السادسة صباحا إلى السادسة مساء والعكس، وكل تيرمت تسقي ما يعادل 3 حقول و2 أخماس من الأرض، وبذلك تكون القسمة بحسب الفرضيات وفق مضمون الرواية على الشكل التالي:

أوكيزي الصباوي الذي اشتراه وحصته: 7 تيرام.

مستي بقبيلة اصبوييا سابقا: 7 تيرام.

أهل بوكرفة بقبيلة أيت الخمس 6 تيرام.

المرابطين بقبيلة اصبوييا 6 تيرام.

الخراج يمثل حصة الوادونيين الباعمرانيين يقال لهم إد سراح وحصتهم: 4 تيرام.

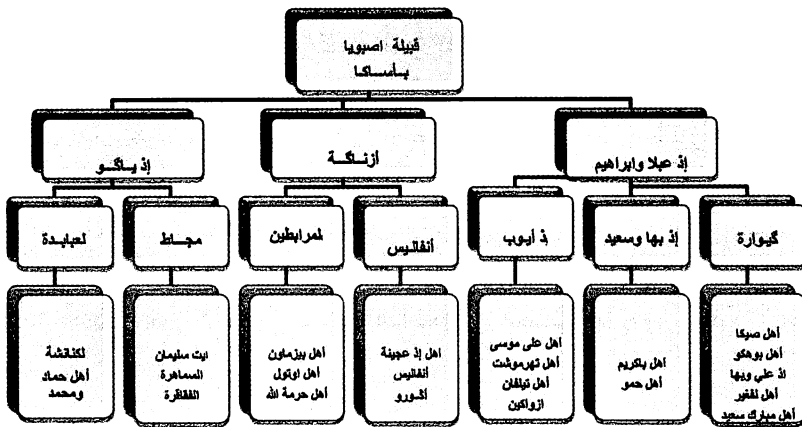
السيد علي ويسيمور من أيت الخمس 6 تيرام.

(19) سبقت الإشارة إلى أصل مدلول الأجداد الخمسة: كيزي، إذ علم وعمر، البكر، امن، مستي والخراج

إن الاستئناس بالروايات الشفوية المحلية السالفة يتضح من معالمة بعض التداخل المرن والمتوافق في المعطيات لمسألة سبق إلى استغلال مياه السقي بمجال أساكا: خاصة التواتر الشفوي والأسطوري لزيارة شخصية السلطان الأكحل إلى المنطقة، و تدبدب الانتماء للعصبية القبلية التي يحكمها العامل القرابي الأبوي المشترك وطبيعة الانتماء سواء كان: قرابة، حماية أو مصاهرة... والتجسد في الحضور الفعلي للبنية الاجتماعية القبلية، إضافة إلى وجود تقارب موحد في دلالة التسميات المتوارثة لحصص السقي، الذي ينفرد بتقسيمه الأولي الذي مازال أهل أساكا يحتفظون ببعض تسمياته في توزيع الحصص وتدوين أسمائه بعقود الحيازة والتصرف تبعا للحقل المشتري أو المرهون.

فماذا تحمل الكتابات التاريخية من دلالة حسية عن مسألة السبق لعدالة الماء بواحة أساكَا؟

شكل رقم 2 : الخطاطة القرابية لقبيلة اصبويا المستفيدة من مجال واحة أسكا (20)



2. روايات الكتابات التاريخية

أ. الرواية المركبية⁽²¹⁾

بعيدا عما تداولته وتناولته الروايات الشفوية المحلية عن ساقية واد أساكا، وفي إطار مقاربتنا لطبيعة البنية الاجتماعية والسياسية لقبيلة اصبويا المستقرة بالمجال، والتي يعتبر انتماءها القرابي إلى تنظيم أولاد الدليم من ذوي حسان إحدى قبائل الصحراء

(20) أنجزت الخطاطة في إطار مقابلات وجلسات مع مسنين وفاعلين محليين صيف 2010 ، وذلك بهدف الوقوف على الفروع المكونة للقبيلة و الاستفادة من حصص توزيع مياه الساقية.

(21) «جوامع المهمات في أمور الركيات لمحمد سالم بن الحبيب بن الحسين بن عبد الحى» تحقيق وتقديم مصطفى ناعمي، تحت إشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي، بالرباط، 1434 هـ، 2013 م، 34 ص.

المعقلية، والتي شكلت أهل سوس في الجيش السعدي فيما بعد. واعتبارا لما سجلته الكتابات الانثروبولوجية حول إدراجهم ضمن حملة السلاح والمدافع الدين تمكنوا من تجسيد قدراتهم العسكرية في الوظيفة الاستيعابية، وفي إمداد وتنامي التحالفات القبلية، وامتهان الارتزاق السياسي والعسكري بمجال الصحراء والساحل⁽²²⁾. وهو الأمر الذي يحيل إلى اعتبار القبيلة تنظيم احتياطي دليمي رص صفوفه الاستيعابية للاستقرار بمجاله الحالي بعيدا عن الصحراء لاعتبارين: أولهما أن هذا المجال منطقة تحصينية ودفاعية ساهمت في تمويل الارتزاق العسكري وتغيير تجارة القوافل ومواردها، وثانيهما: الرغبة المتزايدة للعصبية القبلية وتشديد منافسة ومراقبة التنظيم القبلي المسيطر على تجارة تكاوست شرقا. لذلك، فقد شكل هذا التنظيم القبلي، بموصفاتة الحربية والعسكرية امتدادا لعناصر قبلية سابقة اتسمت بانتمائها لحملة الكتاب الذين لهم مرجعية سبق في تدوين مراسيم الطقوس التنظيمية لقسمة منابع الماء بواحة أساكا، فمن هو هذا الإطار القبلي الزاوي/المرجعي؟

لقد تناولت الرواية الشفوية الركيبية أمر بداية نشوء كيائها القبلي، الذي يرجع نسبه إلى سيد احمد الركبي سليل ذرية مولاي عبدالسلام بن امشيش. وبداية انتقاله من وادي درعة وهو ابن العشرين إلى أرض الخرايع التي اشتراها من قبيلة بني حفيان: «سكان الأرض (بني حفيان)... أهل قوة ونجدة وتقصدتهم الناس من الآفاق ويعظمون أهل الدين وأقبلوا عليه بالتبجيل والزيارة والتعظيم. انتقل إليهم من وادي درعة وهو ابن عشرون سنة ونزل بأرض الخرايع وهن الاخنيكات واشترأها من عندهم بستين قنطارا من الذهب (...). وهذا بعد أن مضت عشرون سنة⁽²³⁾ من القرن الحادي عشر»⁽²⁴⁾.

على من تنطبق مواصفات بني حفيان بمجالات الأطلس الصغير الغربي والساحل⁽²⁵⁾؟ وهل يمكن اعتماد واد لخرايع، باعتباره أحد الروافد المائية المهمة لواد أساكا من جهة الشمال: مجالا طبوغرافيا ونقطة التقاء مشابهة لمواصفات المجال الذي استقر به سيد أحمد الركبي، كما هو مشار إليه بالمخطوط (ونزل بأرض لخرايع)؟ وهل تعتبر الركيبات المرجع القبلي الزاوي المساعد الذي له يد السبق الأولي في تدوين وكتابة نظرية قسمة ينابيع الماء بساقية واحة أساكا؟

(22) نفس المرجع السابق. ص 34.

(23) يوافق هذا التاريخ سنة 1601 - 1602 م قبيل وفاة احمد المنصور الذهبي أكبر ملوك الدولة السعدية.

(24) نفس المرجع السابق، ص 34.

(25) تساؤل طرحه الأستاذ مصطفى ناعيمي في تحقيقه لكتاب جوامع المهمات في أمور الركيبات. مرجع سبق ذكره.

إن ما تطرقت له الرواية الشفوية المحلية الأولى والثالثة التي أشارت إلى ملكية السلطان الأكل، يجد له كذلك تفسيراً مماثلاً في أجزاء المعسول: «وقد عاصر أباه (سيد احمد الركبي) الحسن المشهور بالسلطان الأكل⁽²⁶⁾. فاتفق أن كان عرب من معقل يسمون تاكنة يقطعون السبيل بين فاس ومراكش. فهم السلطان بالإيقاع بهم فأجفلوا بين يديه إلى الصحراء من حوز سوس فتقضى السلطان آثارهم وتوغل في الصحراء. فالتقى الشيخ احمد الركبي وقد نزل هناك وشيكا بعدما اشترى أراضي واسعة إلى الساحل الأطلنطي. فتداول مع السلطان في أمر غرمائه ليبقي عليهم فيعمروا معه تلك الأرض ضد البربر الذين كانوا متأصلين فيها. فدفع للسلطان مالا كثيرا يقال إنه أتى به على وجه الكرامة. فرجع السلطان»⁽²⁷⁾.

فهل يمكن ان نعتبر وجود نقط التلاقي في هذا التشابه وفي المعطيات المصنفة بالكتابات التاريخية نقطة تماس وترابط مع الروايات الشفوية المحلية؟ خاصة استنتاجنا بوجود تصنيف وتشابك في العديد من المعطيات والعلاقات وأهمها:

- علاقة السلطان الأكل وسيد احمد الركبي مع مجال أساكا؟
- علاقة واد الخراويع بطبوغرافية مجال أساكا ومجال استقرار سيد احمد الركبي بأرض لخراويع حسب ما تضمنه المخطوط؟
- هل نعتبر كذلك، هذا التشابه من الأمور الواردة للإشارة إلى فرضية تلازمية تؤكد ترابطا بين الأحداث والأمكنة؟ وهذا ما خلصنا إليه من خلال الروايات الواردة التي أكدت على وجود دلالات حسية في المعطيات المستخلصة:
- نزوح سيد احمد الركبي من وادي درعة إلى منطقة الساحل الأطلسي خاصة مجال الخراويع، والذي يعتبر أحد الروافد المائتة المهمة التي تصب بوادي أساكا.
- تضارب الرواية الشفوية المحلية بشخصية تملك المجال من طرف السلطان الأكل، وهو ما أشارت إليه الإفادات الواردة بالنصوص السابقة حول توافق زيارة أبو الحسن الملقب بالسلطان الأكل إلى المنطقة وتعقبه لعرب من معقل يسمون تاكنة (....) فهم السلطان بالإيقاع بهم فأجفلوا بين يديه إلى الصحراء من حوز سوس(....).
- لقاء سيد احمد الركبي بالسلطان الأكل حول أمر غرمائه من عرب بني معقل، لقبول العفو عنهم والإبقاء على حمايتهم بمجاله مقابل هداياه للسلطان.
- تداول سيد احمد الركبي مع السلطان في أمر غرمائه (تاكنة) ليعمروا معه تلك الأرض ضد البربر الذين كانوا متأصلين فيها؟ فمن هم البربر المتأصلين؟

(26) المقصود بالسلطان الأكل: أبو الحسن حفيد يعقوب المنصور.

(27) محمد المختار السوسي: «المعسول، الجزء 12»، الدار البيضاء 1962، ص 88.

وبالتالي، فهل يمكن أن نعتبر مرجعية التنظيم الركيبي بانتمائيه الزاوي حاملا لدلالة السبق إلى تدوين وكتابة مراسيم عرف قسمة مياه واحة أسكا بأمر من السلطان الأكل للمعمرين الجدد، كما تتضارب الراويات الشفوية حول شخصيته؟

ب . الرواية الدوبلاية⁽²⁸⁾

رغم الاختلافات التي تشير إليها الإفادات التاريخية، وتضارب معطيات أسباب الهجمات المسترسلة للقبائل الدوبلاية على منطقة الساحل وقبائل وادي نون، منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي. فإن هذه المعطيات قد أشارت إلى كون السلطان الأكل عين حمو سعيد واليا على منطقة الصحراء الكبرى، مفوضا إياه تقسيمها إلى ولايات وأقاليم⁽²⁹⁾. كان أهمها محافظة وادي نون التي تشمل مداشر وعرون، تلوين، أسكا، بوجريف إلى نهر درعة⁽³⁰⁾. تقسيم إداري بادر به السلطان بدلالات سياسية وعسكري أمنية سارعت إلى ضرورة خلق تحالف التحام قبائل المنطقة ضد تمرد وبطش الدوبلايين، وعجل بطردهم من طرف قبائل أيت لحسن إلى مجال نفوذهم الحالي بمنطقة طاطا⁽³¹⁾ بعدما تنازلوا بالبيع عن منطقة بوسمارة غرب منطقة أسكا لطرف محاييد هو: إذ على وعمر الدليمي الأب المؤسس للنواة الأولى لتنظيم قبيلة أصبوياء⁽³²⁾.

بعيدا عن الخوض في أسباب ونتائج تبعات طرد ورحيل اذ وبلال، يبقى التساؤل الضمني مقترنا بإيجاز، عن تداعيات التنازل عن مجال النفوذ، مما يستدعي ضرورة طرح الإشكالية المتعلقة باستثمار مؤهلات وخصائص ساقية واحة أسكا: فهل يمكن أن نعتبر للتنظيم الدوبلاي ثقافة الاقتصاد الفلاحي لاستغلال منابع الماء والأرض؟ فإن الجواب قطعاً بالنفي، لكون ما سجلته الرواية يحمل فقط مؤشرات الدفاع والاندفاع لحماية النفوذ، ولم يشر إلى استغلال اذ وبلال لمجالات السقي وامتهان الفلاحة، وبالتالي تؤكد دلالة هذا الطرح، طبيعة الانتماء الدوبلاي إلى حملة السلاح التي ألزمت قاعدة الإغارة واستثمرت فقط أراضي المنطقة للانتجاع وتربية قطع الماشية والإبل. مما يجعل دورهم الريادي في مرجعية أصل السبق إلى تدوين وتنظيم ساقية واحة أسكا أمر غير وارد.

(28) اذ اوبلال تنظيم قبلي كان يشغل مجال بوسمارة غرب واحة أسكا، قبل تخليهم عليه بالتنازل لفائدة اذ علي وأعر الدليمي الجد المؤسس لمشجرة تنظيم قبيلة أصبوياء، وبعدها انتقلوا إلى مجالهم الحالي بضواحي طاطا.

- انظر كذلك: مصطفى ناعيمي: «الصحراء من خلال بلاد تكانا».

(29) صدوق محمد أبيه: «الصحراء المغربية قبل الاحتلال وبعده» دون تاريخ الطبع، ص 16.

(30) نفس المرجع السابق، ص 16.

(31) إدريس نقوري: «أيت لحسن: القبيلة-التاريخ-المواقف» مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 2007، ص 134، 136.

(32) يعتبر إذ علي وعمر الجد المؤسس لتنظيم مشجرة قبيلة أصبوياء بمجال ايت باعمران.

ج . رواية أولاد إدريس :

تجود الذاكرة الشعبية المحلية بالروايات التي ترجئ دلائلها انتظام قواعدها السياسية والعسكرية إلى قوة وشدة بأس التعصب القبلي المقترن بتداعيات الرغبة المتزايدة في حيازة النفوذ والاستيطان ، فقبائل ايت لحسن بوادي نون و قبيل استقرارهم بتكاوست معقلهم الحالي ، عاشوا مرارة الطرد التعسفي الذي مارسه عليهم ازوافيط بمداشر نون لمطة وجبال كير . ولم يتم تسجيل إستقرارهم النهائي إلا بعد الإهانة التي ألحقها أولاد إدريس بقبيلة ايت لحسن والمتمثلة في قصة الضيافة ، وما أعقبها من إهانة رمزية تجلت في تلطيخ سروج الخيل بالروث . مما كان السبب المباشر والفاجع الأكبر في هزيمة أولاد إدريس وإخراجهم من تكاوست (لقصابي⁽³³⁾) موطن ايت لحسن الحالي⁽³⁴⁾ . حيث تحولت المأدبة إلى مذبحة لم ينج منها إلا رجل واحد فر بصحبة أخته إلى ايت باعمران ، ولما وصل ذبح ثورا وطلب حماية اصبوايا⁽³⁵⁾ .

إن مبدأ طلب الحماية وفق القاعدة العرفية المتعارف عليها «دبيحة العار» ، وكما يسجلها مغزى الرواية ، قد لاق صفة القبول داخل تنظيم اصبوايا المجاور ، خاصة وأن حادث الطرد تزامن مع مرحلة البدايات الأولى لنشأة الهياكل الاستيعابية والدفاعية للتنظيم القبلي والعسكري لصبوايا بالمنطقة . مما استدعى ضرورة فرض طقوس القبول والترحيب بأي طرف دخيل يرغب في الانضمام والتبعية إلى حملة السلاح ، ولا سيما إذا كان من حملة الكتاب/المرابطين من أمثال أولاد إدريس الذين انضموا إلى اصبوايا في مرحلة أولى . وبعدها تم إدراجهم في عداد قبيلة مستي بانتماء بعمراني .

إذا كانت مرحلة التأسيس الاستيعابي مشروطة بضرورة قبول المخالطة ودعم ولاء الدخلاء مقابل حمايتهم ، قد ألحقت أولاد إدريس مؤقتا ضمن تجريدة قبيلة اصبوايا . فهل يجوز أن نربط هذا الانضمام الزاوي إلى العسكري؟ ونعتبره ولاء عكس بسماته مرجعية السبق إلى عملية تأطير وقسمة ثروة منابع الماء بساقية واحة أساكا؟ وهل يمكن أن نعتبر أولاد إدريس الذين كان وضعهم السابق ، يقوم على استثمار عيون تسكنان وتكاوست ، قد استغل التجربة الفلاحية الميدانية في ميد المساعدة إلى اصبوايا بغاية إخراج مشروع توزيع مياه ساقية واحة أساكا إلى الوجود؟ إذا كان الجواب بالإيجاب ، فأين يمكن أن ندرج نصيب حصتهم من الماء داخل هذا القسمة؟ وهل يمكن اعتبارها ضمن حصة إيكرا من/لمرابططين الذين ترجئهم الكتابات الانثربولوجية إلى انتماءات التنظيم الزاوي؟

(33) لقصابي: مدشر إلى غرب مدينة كلميم بحوالي 10 كلم ، جاء على أنقاض تكاوست التي ذكرها حسن الوزان في : «وصف أقرينا» .

(34) إدريس نقوري ، نفس المرجع السابق ، ص 161 . الرواية نقلا عن مونتيل ، و عمر ناجيه .

(35) نفس المرجع السابق ، ص 162 .

3. خلاصة استنتاجات المقاربة بين الروايات

من خلال مقاربة جزئية للدلالة الحسية للمعطيات والقرائن الواردة بهذه الروايات التي احتفظت بها الذاكرة التاريخية، نستشف ضمناً بأن الطرح المستخلص: يشير إلى معادلة بين عملية تنظيم منابع الماء والبنية القبلية المسترسلة، بالرغم من أن السبق وتوثيق التنظيم الأولي يبقى مجهولاً، هذا إن لم نربط معالمه بالطابع الاستيعابي الذي فرض وحدد تجديداً مسترسلاً بين التشكيلات المحاربة والمسالمة لبلورة فكرة التوزيع والاستغلال. إذ أن هذه المقاربة شملت اعتماد وملازمة استنتاج دلالات حسية قابلة لمبدأ المقابلة والمقارنة لمضمون ما جادت به الروايات الشفوية واقترانها بصيرورة العملية التاريخية.

وفي اتجاه مغاير، سوف نقف على معطيات الدلالات الحسية وما تضمنته الأعراف المحلية حول مسألة السقي، ونورد عرف ساقية الخلط نموذجاً وحيداً، استطعن الوقوف عليه، واعتمدناه مرجعاً نظرياً في محاولة لفك لغز فرضية السبق إلى قسمة مياه الواحة. وساقية الخلط معروفة طوبونومياً «بتاخلطيط»، ينحصر مجالها الترابي بالضفة اليمنى لواد أساكا، تم استصلاح أراضيها سنة 1959م لتشكل ثلث المساحة الإجمالية الإضافية للحوض المسقي للوادي. لقد أنجز عرف ساقية الخلط على مبدأ قاعدة العامة في ترك الناس على عوائدهم، والنزيم تحريره بشروط ومواصفات تسطير كتابة الوثيقة العرفية شكلاً ومضموناً، إذ أن المستهلك به ما تعارف عليه الخاصة من مدوني الأوقاف وأهل العقد والحل، ببداية الحمدلة وتوافق أهل العزم والبصيرة من كباراء اجماعة على المنفعة العامة والمصلحة المشتركة: «الحمد لله، قد اتفقت وتمالات واجتمعت وطواطات اجماعة ساقية سيدي ينو (تاخلطيط)، خصوصاً أهل النهي والبصيرة على مصالح الساقية»، تم خالص إلى سرد وتحديد المخالفات والعقوبات والجزاءات المقررة لضبط سير مرفق الساقية والتي أُرْجأت أمر فضائها إلى الجماعة ثم المخزن: «ومن يقض بالضياح والفساد كأرباب البهائم كالإبل والغنم والبقر والذواب و أتباعهم كمثل الجديان والخرفان والعجول والكلاب والدجوج والمرور وسط حواقل الغير حقلته، ومن فعل ذلك فعليه العقوبة للجماعة والحكومة...»، وانتهى إلى النظر في كفاءات تطبيق علاقات العمل الموزعة بين كوائن القبيلة التي أفضت إلى إنجاز مشروع ساقية الخلط: «وهذا كله، لم نكتبه حتى برحوا به في وسط سوق ثلاثاء هصباوة. وإذا برحوا بالخدمة، فمن تخلف منهم عن اليوم الموعود، فعليه ثلاثة أيام يخدمهم...»، ليختم نصه بعبارة إجماع العزم بموافقة ومباركة الجماعة لمضمون الاجتهاد المنظم للساقية: «وأمرنا أن نكتب لكل واحد ما فوت وما أعطى ليكون بياناً للمشاركين والمرتهنين. وهذا ما اتفقوا عليه أعيان الجماعة والواقفون عليها...»⁽³⁶⁾.

(36) انظر مضمون نص عرف ساقية الخلط بالضفة اليمنى لواحة أساكا الوارد في نهاية المقال.

مقاربتنا لمضمون عرف الخلط، فإن هذا التداخل يفيد بكون التجمع البشري الذي عمد إلى السبق، قد مر استقراره الافتراضي بالواحة وفق المراحل الكرونولوجية التالية:

اجتمعت الكووانين المستقرة ضمن إطارها التنظيمي: مؤسسة إنفلاس نتاقيبيلت (مقدمي القبيلة) في إطار العرف المنظم لمجلس اجماعة⁽³⁷⁾. وقررت ضرورة الإسراع لبداية وضع مشروع جديد يضبط عدالة الماء ويقسم المنابع التي لم تكن حينها بدافع عفوي، بقدر ما تحكمت فيه إرهابات ظرفية حتمية تفيد بوجود صراع واشتباكات لها رغبة متزايدة في تملك وحيازة مجال واحة أسكا من طرف عناصر خارجية. يرجح أنها من القبائل المجاورة، خاصة التي تملك سطوة النفوذ بتكاوست، باعتبار أن المنطقة سجلت نزاعها التاريخي على هذا المجال مع ادو بلال وايت لحسن، قبل تخلي هذه الأخيرة عن موطنها المسمى بوسمارة لفائدة أصبوياء.

في مرحلة لاحقة، فقد ألزم تطبيق مؤسسة إنفلاس نتاقيبيلت للمشروع الجديد رص الصفوف لتعبئة شاملة لجميع أفراد الكووانين التابعة له، من خلال توفير المؤونة والذواب واليد العاملة «الخدمة» لاستصلاح البراري والأراضي الموات، التي ستكون مجالا للسقي، حيث جسدت الكووانين خطة عمل جماعي في: اجتثاث الذغموس والرمث والفرنان...⁽³⁸⁾، تسوية الأرض وانتزاع الحجارة منها، ثم شق القنوات ومصارف الساقية...

هذه العملية الافتراضية للاستصلاح، فرض عين إجبارية على الكووانين، وفي العمق لها منطلق العمل التطوعي والجماعي للكووانين، لذلك اقترنت بمشروع عملية توزيع حصص الماء، بحيث أن الفرضيات والكووانين التي يعتبر مجهود عملها الاستصلاحي لموات الأرض كبيرا حازت وتمكنت حصة زائدة من الماء في إطار عملية التوزيع على حساب الاستغلاليات المحدثة.

إن تتبع مدى انجاز مشروع الاستصلاح المقترح، وتثمين إنفلاس نتاقيبيلت لنتيجة هذا المجهود المضني، شكل البداية الافتراضية والتحديد النهائي لنظام التوزيع على مبدأ قاعدة فؤوس العمل التي لها السبق في عملية تسوية الأرض، وشق مصارف وقنوات الماء. حيث تجسدت بذلك، البداية الأولى لخطوة تسمية لفظة: «الفأس/ الفيسان»

(37) انظر عرف تنظيم إيت الربيعين الوارد في: «جوامع المهمات في أمور الركيات لمحمد سالم بن الحبيب بن الحسين بن عبد الحي» تحقيق

وتقديم مصطفى ناعمي، تحت إشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط، د. ت. الطبع.

(38) أنواع من النباتات التي تشكل الغطاء النباتي المتواجد بكثرة بالمنطقة.

المقترنة بأسماء الكوامين المستقرة وأعلام واضعيتها، دلالة على إقرار نظام جديد لتوزيع مياه الساقية، الذي حدد قسمة إجمالي صبيب عيون الماء على ستة فترات شبه متكافئة بين الفؤوس المقررة، سميت محليا: «تيرمت»⁽³⁹⁾، وللوقوف على كيفية توزيع هذه الفؤوس ارتأينا تلخيص الجدولة أسفله موجزة وشاملة، وذلك وفق جدولة التوزيع المرجعي المعتمد أسفله:

جدول رقم 01: التوزيع التاريخي/المرجعي المعتمد بواحة أساكا

التوزيع التاريخي المعتمد		مقاربة ميقاته الزمني الحالي	
اسم الفأس	عدد التيرام	مايعادلها بالساعة	مايعادلها باليوم
فأس كيزي	7 تيرام	84 ساعة	3،5 يوم عمل
فأس مستي	7 تيرام	84 ساعة	3،5 يوم عمل
فأس اذ علي وعمر	6 تيرام	72 ساعة	3 أيام عمل
فأس ايكرا من	6 تيرام	72 ساعة	3 أيام عمل
فأس لخراج	6 تيرام	72 ساعة	3 أيام عمل
فأس الجمعة	4 تيرام	48 ساعة	2 يومي عمل
المجموع:	36 تيرمت	432 ساعة	18 يوم عمل

بعد عملية القسمة بين الفؤوس الأربعة الأولى أعلاه، تكون مؤسسة إنفلاس قد أنهت عملها النموذجي الأولي، وأقرت مبدئيا وعن قناعة منها، نظام قسمة توزيعها المائي الجديد في مجال السقي بالصفة اليسرى لحوض واحة أساكا، وفق قاعدة جسدتها قيمة تطبيق العمل المنجز من طرف الفرضات والكوامين المستقرة.

واستنادا إلى الفرضية السابقة في التوزيع، ونسبية مقاربتها الحسابية مع الفرضات والكوامين المستقرة. تبقى الإشارة ملحة إلى البحث عن سبب تسمية الفأسين المتبقين: لخراج ثم الجمعة. وهنا يحيلنا الحديث إلى طرح استنتاجات جزئية قابلة للنقاش، مادامت الرواية الشفوية المحلية لا تحيط إجمالا بمدلولات الأسماء المتداولة لحصص وفترات السقي، خاصة إذا اعتبرنا أن تفكيك هذه الملاحظات سوف يشير إلى اعتبار فرضيتين:

(39) تيرمت: ج. تيرام، وهي وحدة لقياس توزيع الماء بالساقية وتعاادل 12 ساعة. و اصطلاحا: لفظ اماريغي بدلالة معناها وجبة الأكل أو نوبة الأكل. وهي بذلك إحياء لقيمة استهلاك الحقل لمعدل معين من مياه السقي.

الفرضية الأولى: «فأس لخراج» يحيل إلى تناول الإشكالية التاريخية للفظ لخراج، ويدفع بالضرورة إلى تتبع الأصول التاريخية لتداولها بالمنطقة وربطها بمفهوم مكوس الجباية التي ضمتها كنانيش وسجلات جباية المخزن على القبائل المتمردة. وبالتالي فإن اللفظ يحمل على الولاء المرتبط بفرض نوع من التكليف الجماعي في تخصيص جزء من مياه السقي للبورجوازية المحلية أو للطبقة الحاكمة المسئولة عن بسط الأمن، أو أنها فرض يوحى بتداخل الوظائف مقابل المغارم في إطار استيفاء واجبات الكلف المخصصة لإيرادات صندوق مؤسسة اجماعة من ناتج كراءها للحصص المقررة من مياه الساقية لفائدة الراغبين في زيادة حصصهم من مياه السقي. ومن ثم فإن عائدات لخراج يوجه لدعم وظيفة صندوق اجماعة مقابل تنفيذ مستويين، الأول: مقارنة مشاريع إصلاح وصيانة السواقي ذات المصلحة الجماعية المشتركة، والثاني تنفيذ السياسة العسكرية والمقاربة الأمنية للدفاع عن مصالح المستقرين بمجال الواحة، باعتباره مجالا شكل نقطة نزاع وصراع متزايد مع القبائل المجاورة، ألزم تكثيف مجهودات دفاعية وتحصينية للدود عن المنابع المقدسة للماء.

الفرضية الثانية: «فأس الجمعة» يفيد بكون التنظيم لقسمة وعدالة مياه الساقية، لم يستثنى حينها مرجعية الوازع الديني وفئة التنظيم الزاوي المسالم، بل لم يبلغ حضور جميع السكان المستقرين بما فيهم فئة الدخلاء، خاصة منهم أهل الكرامات من طلبة وفقهاء مشارطين⁽⁴⁰⁾ بالمسجد والمدرسة القرآنية. حيث تقرر لهم ضمنا، أحقية التصرف في فترة إضافية لدورة مائية تعادل يومين من العمل بمجال الساقية، وقد ارتبطت تسميتها مجازا بالوازع الديني، وبهالة التقديس التي يحض بها يوم الجمعة. نظرا لحظوة الامتياز والتشريف ولهالة التوقير والاحترام التي تتمتع بها فئة التابعين من فقهاء الزوايا وطلبة العلم داخل المجتمع الباعمراني عامة. غير أن هذه الفترة المائية، كانت بداية الأمر امتيازاً على الطلبة والفقهاء قبل توارثها بالتناوب وبتقادم العهد وتوفر شرط البيع والتنازل لفائدة لمرابطين، وفي مرحلة لاحقة ارتبطت بالعامرة - إلى اليوم - باسم جمعة فرضات أعيان وشيوخ القبيلة أمثال: أهل باكريم، أهل حيجوب، أهل بوفريوة وأهل احماد أسالم.

في حين، وفي إطار ضمان استمرار الدور العادي لسير هذا المرفق، فإن ما نسجله من ملاحظات ميدانية حول طبيعة المخالفات وإقرار العقوبات حسب قانون العرف المنظم لتوزيع مياه السقي بواحة أساكا، قد ظل بتشدد مفهومه وقانونه ضامنا رمزيا

(40) الفقيه المشارط: ظاهرة اجتماعية لازمت المجتمع البعمراني في استقبال وإيواء الطلبة والفقهاء، بحيث أن أداء الصلوات بالمساجد كان يلزم الكوئين أداء ما يشبه الراتب عينيا أو نقديا للفقيه القائم على شؤون المسجد.

لعدالة الماء واحترام مبدأ «الأرض مع ما يسقيها من الماء صيفا وشتاء، ليلا ونهارا» حيث أقر جملة من الإجراءات والعقوبات الزجرية المبنية على قاعدة المصلحة المشتركة للجماعة قبل الفرد، ومن أهم شروطها:

□ أن الساقية حرم مقدس ألزم وجوب التوقير في إطار ديمومة عمليات السقي وجني الغلال.

□ الاعتداء والتطاول على مرفق الساقية خلال عملية السقي مخالف لعرف الجماعة.

□ استعمال المياه للسقي خارج ديمومته يكون بموافقة المستغل لحصته فيما زاد عن حاجته من ماء السقي، وهو ما يصطلح عليه بالشيط أي الزائد من حاجة الأرض للماء.

إن التطاول القصري على منابع الماء بالساقية «كسر الماء» أو التسري ليلا لسرقته، وفي الاصطلاح المحلي فإن مدلول لفظ «كسر الماء» هو أمر مخالف وملزم لاستيفاء الغرامة وجبر الضرر، وظاهرة سرقة مخالفة للعرف والمصلحة المشتركة يحال النزاع فيها - فيما قبل- إلى إنفلوس نتاقيبيلت، لفض أمرها وإقرار حجم الضرر الناتج عنها، ثم استيفاءها بالزامية فرض الكلف المتعارف عليها، مثل: صيانة وكنس مصرف ساقية اجماعة، استصلاح الأراضي أو فرض عشاء الصلح. هناك أيضا: «تمشغالت» وهي عادة مرافقة بميزة أجرة تدبير مرفق الساقية تستوفى لصالح المقدم/انفلوس المنتدب من مجلس اجماعة، حيث جرت بها العادة لتحصيل أجرة عينية مع انتهاء كل دورة لجني الغلال، وتصرف بمقدار كيس من الذرة عن الفلاح الفرد المزاوِل للنشاط لفائدة المقدم/انفلوس. وما تركته الرواية الشفوية في قريب العهد، عن أمناء هذا التدبير المفوض لانفلاس القبيلة جسده شخص مازالت أسماءهم تتداول إلى اليوم في الذاكرة الشعبية ومنهم: انفلوس محمد أعمار، انفلوس محمد أبوسحاب ولد عياد تم انفلوس مبارك بن لحسن أبلعيد، الذي كان آخر أمناء تدبير مرفق ساقية واحة أساكا قبيل اعتماد نظام قانون جمعيات تدبير الأحواض السقوية.

وقد تعدى جبر الضرر العيني لظاهرة «كسر الماء» بتقادم العهد القاعدة العرفية للقبيلة بالتدرج نحو قاعدة المعاملة بالسيولة النقدية، حيث أصبح الأمر أكثر تنظيما. ففي العقدين الأخيرين تجسدت وصاية لسلطة جديدة على تدبير منابع الماء في شخص جمعيات المجتمع المدني، التي تأسست على ضوء قانون إحداث جمعيات تدبير الأحواض السقوية التي أوكل إليها الإشراف على هياكل تنظيم السواقي والأحواض المائية في إطار انخراط

واسع لمستغلي مياه الواحة، وقد التزمت في نظامها الأساسي دون إحداث تغييرات بجوهر مضمون ما سطره الإرث التاريخي في تدبير عدالة منابع الماء، وحددت أشكالاً جديدة مغايرة للهيكلية التمثيلية لتنظيم الأجهزة المسيرة لها وفق الفترات المستغلة للماء بدلاً من إشراف نظام مؤسسة إنفلاس. كما أقرت إلى جانب ذلك، القوانين الإلزامية لضمان السير العادي لمرفق الماء تبعاً لحصص التوزيع وعلاقتها بالفترات التي تستفيد من دورة ينابيع الماء بساقية واحة أسكا.

قضية جوهرية أخرى نقف عليها، مقارنة مع تنظيمات إقرار توزيع الماء بسواقي واحات وادي نون، مفادها أن هذه الأخيرة اعتمدت في تقويم تصريف حصص الماء موازنة مع مساحات الأرض المسقية، نظام قياسات محلية مثل: سعة جريد النخل أو السلطة/تطاست... في حين، أن مجال واحة أسكا اعتمد في بداياته الأولى تقويم إشارات مرشمة على عصا، ثم انتقل إلى إقرار نظام ميقات الساعة الزمنية دون المساس بنظام «التيرام»، ويعزى هذا الانتقال المبكر في تطوير هذه التقنية إلى الاحتكاك المباشر الذي عرفته المنطقة من جهة الساحل الغربي مع البعثات التجارية الاستطلاعية الأوروبية الأولى، سواء منها البرتغالية أو الانجليزية أو الإسبانية والتي كان زعمها التاريخي يرمي إلى تحديد مرسى سانتاكروز بشاطئ أسكا في محاولة منهم لتغيير محور التجارة القفلية عن مساراتها البرية والانتداب المباشر مع المنابع الرئيسية للتجارة الإفريقية عبر الخط البحري.

إشارة أخيرة، تفيد بأن هذه القسمة أسست لعملية حسابية صرفة، شبه متساوية في تنظيم فترات هذه الفؤوس، لتدخل بع ذلك، في إطار اكتمال ديمومة شهرية تعادل دورة المياه موازنة مع مساحة أراضي الساقية من خلال ربطها بالعامل الزمني على ضوء صيرورة التقويم الشهري، بحيث نجد دورة تعادل 18 يوماً كاملة كوحدة إجمالية لقياس مياه السقي بحوض تركي وساي بالضفة اليسرى بواحة أسكا والتي نحن بصدد البحث عن مرجعيات سبقها التاريخي. جاءت بعدها، عملية استصلاحية إضافية لحصص متساوية في فترات حصص السقي تعادل 12 يوماً بحوض تخطيط بالضفة اليمنى أشرنا إليها وفق عرف ساقية الخط المنجز سنة 1959. وبذلك تكون ينابيع المياه بحوض أسكا، قد حددت حصص توزيعها في قيمة محولة ومعادلات متساوية تراعي التقويم الشهري بين ليله ونهاره لسقي الأرض في إطار تنظيمي: مبني على أساس الحساب الستيني، فقد اصطلح أهل سوس على تقسيم مياه العيون على ستين حبة، أي جزءاً، واستعملوا نفس التقسيم في حساب التراكات، ويعتبر هذا التقسيم من الأصول المشتركة في مختلف الحضارات القديمة، فرقم الستين يتكون من عشرة

أضعاف لرقم ستة، ورقم ستة هو الأساس الحسابي الكوني الذي يرجع فيه الفقهاء إلى قوله تعالى (سورة السجدة آية 14): ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾، فأغلب الوحدات الزمنية إنما هي تضعيف لهذا الرقم، فضعف رقم ستة عشر مرات يساوي ستين، وهو عدد الحبات التي وقع الاصطلاح عليها في تقسيم مياه العيون⁽⁴¹⁾.

4. نص عرف ساقية الخلط/تاخليط: الوثيقة

الحمد لله، قد اتفقت وتمالات واجتمعت وطوالت اجماعة ساقية سيدي ينو، خصوصا أهل النهي والبصيرة على مصالح الساقية ومن يقض بالضياع والفساد كأرباب البهائم كالإبل والغنم والبقر والذواب وأتباعهم كمثّل الجديان والخرفان والعجول والكلاب والدجوج والمرور وسط حواقل الغير حقلته، ومن فعل ذلك فعليه العقوبة للجماعة والحكومة. وكذلك من وجد امرأة تزول الربيع في حقلته فالعقوبة على زوجها، وكذلك الدجاج إذا كان يدخل في حواقل الغير فالعقوبة على ربه، وكذلك الكلاب، ومن وجد صبيا أو امرأة في عنب أو خضرة أو تين فالعقوبة على الآباء والأزواج.

واتفقوا أن لا يمر واحد من حقلة الآخر إلا بإذنه، لأن حواقل ساقية: الخلط (تخليط) كل واحد من الواد إلى المصرف، ومن غلق وسد فوق حقلته أو تحتها (...) أن يدخل لها مع حواقل الغير فليس له ذلك، كل واحد يعمل الطريق في حقلته. ومن مر وخالف القانون فعليه عقوبة المخزن والجماعة. وكل حقلة من مصرفها إلى الشنط (الطريق) لا يعمل فيها أحد، ولا يبنى فيه سوى ربه أو بإذنه. لأنه يضر من نزل فوق حقلة الغير بالدجاج والكلاب والبهائم والنساء والصبيان. ومن فوق الشنط فإن أتى أحد بعقود بينت ملكه، ذلك فهو له، وإلا فليأخذ رب الحقلة إلى رأس الجبل، وإن تشاحنوا فيدرعون الحقائق وكل واحد يأخذ قدر حقلته.

وهذا كله، لم نكتبه حتى برحوا به في وسط سوق ثلاثاء هصباوة. وإذا برحوا بالخدمة، فمن تخلف منهم عن اليوم الموعود، فعليه ثلاثة أيام يخدمهم. وأيضا فإن مصرف الجماعة لا يعمل أحد تحته ولا فوقه قدر عشرة أذرع والمصرف المذكور من أكوك إلى الحواقل، وأن الجماعة لا تبني ولا تنكس إلا الموضع الخالي من العمارة، كمثّل: أكني نقاو ومصرف الجماعة وقنطرة واد أو تلاوك وتسوكة بوسلين وقنطرة أحمد أرام وقنطرة أهل واحمان.

(41) عمر افا: «تاريخ أنظمة السقي التقليدية وتقنية تقسيم المياه في أحواز تيزنيت» ضمن أشغال ندوة حول مدينة تيزنيت وباديتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، ص 124، 125.

وهم الذين عينوهم للمرور. لئلا يمر أحد منع حقلة الآخر ويعمل له الطريق، وذلك يؤدي للسرقة لأن الخلائق ليسوا على قلب واحد، ففهم الخائن وفيهم الأمين وذلك بسبب ترك المرور مع حواقل الناس ليسلم ذاك وهذا، وكذلك الموضع الذي لم تكن فيه الحقلة ولكن غرس فيه البعض الصمار والقصب، فإن الغارس فيه هو الذي ينكس مصرفه. فهو كذلك يخدم ثلاثة لتركة النكس. ومن أراد أن يقطع يعني يعبر الواد لتركي، وجاز مع حقلة الناس فعليه العقوبة، لأن بعض الناس لا يفعل ذلك إلا لغرض فاسد ولو لم يكن ذلك فيها تحت القنطرة (...). وبسلين بالثلث التحتاني والوسطاني تسوكة أهل واحمان والقوقاني أكني نقاو. وهذا كله، برحنا به، ومن أراد أن يهدم قوانين الساقية فالله حسبيه، وبعد ذلك يعاقب بمقتضى القبيلة والقوانين العرفية، وكذلك من يشاركهم في شيء من ذلك.

وهذا كله بعدما تراكت السيول والمضرة من كل جانب، وهدمت البركة الكبيرة المعروفة بأكوك (...). من الأماكن الكبار الذين يحتاجون للبنيان وغيره من الخدمة الكثيرة وشقوق الأرض وتركها نحو من سنة، وهم يتربصون ويتشاورون ويلتفتون للمعاونة من الأجانب حتى يئسوا وقنطوا واذعنوا للخدمة. وعرف أربعة وعشرين (...). منها ستة في ساقية سيدي ينو نفع الله به، والباقي في ساقية الخط. وفرضوا الدراهم، وخدموا حتى أعطوا تسعة آلاف للنوبة وألفان في مونة المعلمين والواقفون على الخدمة والجنديين الذين معهم، وفرضوا الجمال والبغال والحمير ليحملوا الجير والبصلانة (الإسمنت)، حتى أضجروا وفرضوا خداما للنوبة: 55 يوما حتى بلغت 367500 ريال، أخذت منها الخدامين 69750 وأخذ المعلم الأول منها 11771 وفوقها عند أكوك 3538، وأخذت البصلان والحديد وذالة الخدمة 132895. وضموا على ماذكر أجرة الجمال والبغال والحمير الذين يحملون البصلان والجير والرمل والأحجار 149467.

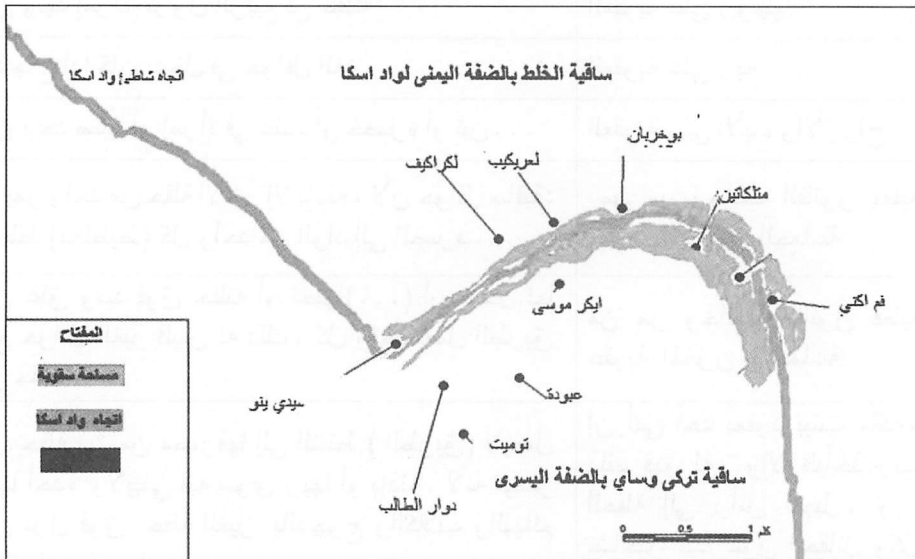
قوموا الجميع، وسموا الجميع 24 نوبة ونصف، فتاب كل نوبة 15000 (...). لمن احتاجها يوما. وأمرونا أن نكتب لكل واحد ما فوت وما أعطى ليكون بيانا للمشاركين والمرتهنين. وهذا ما اتفقوا عليه أعيان الجماعة والواقفون عليها كمثل: علي أحمد أرام والسي إبراهيم بن سي علي وبوشامة وأحمد بن سعيد وجامع بن علي ومبارك بن البشير ومبارك بن محمد الجراري وكتب الحروف محمد الزاكي ومحمد بن إبراهيم بن مسعود والسيد عبد المالك بن إبراهيم وغيرهم في الجماعة، وقيداه في شعبان عام 1378 هـ موافق 10 فبراير سنة 1959 م (الإمضاء) محمد الزاكي وعبد ربه الحسين بن محمد بن أحمد الاتولي لطف الله به.

5. جدول 2 : تلخيص للمخالفات والعقوبات المضمنة بعرف ساقية الخلط بواحة أساكا	
نوع العقوبة المقررة	نوع المخالفة المسجلة
عليه العقوبة للجماعة والحكومة	من يقض بالضيايع والفساد كأرباب البهائم كالإبل والغنم والبقر والدواب وأتباعهم كمثّل الجديان والخرفان والعجول والكلاب والدجوج والمرور وسط حواقل الغير حقلته
العقوبة على زوجها	من وجد امرأة تزول الربيع في حقلته
العقوبة على ربه	الدجاج إذا كان يدخل في حواقل الغير
العقوبة على الآباء والأزواج	من وجد صبيبا أو امرأة في عنب أو خضرة أو تين . . .
من مر وخالف القانون فعليه عقوبة المخزن والجماعة	لا يمر واحد من حقلة الآخر إلا بإذنه، لأن حواقل ساقية: الخلط (تخلطيط) كل واحد من الواد إلى المصرف .
من مر وخالف القانون فعليه عقوبة المخزن والجماعة	من غلق وسد فوق حقلته أو تحثها (. . .) أن يدخل لها مع حواقل الغير فليس له ذلك، كل واحد يعمل الطريق في حقلته .
إن أتى أحد بعقود بينت ملكه، ذلك فهو له، وإلا فليأخذ رب الحقلة إلى رأس الجبل، وإن تشاحنوا فيدعون الحقاقل وكل واحد يأخذ قدر حقلته .	كل حقلة من من مصرفها إلى الشنط (الطريق) لا يعمل فيها أحد، ولا يني فيه سوى ربها أو بإذنه . لأنه يضر من نزل فوق حقلة الغير بالدجوج والكلاب والبهائم والنساء والصبيان .
عليه ثلاثة أيام يخدمهم .	وإذا برحوا بالخدمة ، فمن تخلف منهم عن اليوم الموعد .
يخدم ثلاثة لتركه النكس .	مصرف الجماعة لا يعمل أحد تحته ولا فوقه قدر عشرة أذرع، الجماعة لا تبني ولا تنكس إلا الموضع الخالي من العمارة .
يخدم ثلاثة لتركه النكس .	الموضع الذي لم تكن فيه الحقلة ولكن غرس فيه البعض الصمار والقصب، فإن الغارس فيه هو الذي ينكس مصرفه .
عليه العقوبة .	من أراد أن يقطع يعني يعبر الواد لتركى، وجاز مع حقلة الناس .
يعاقب بمقتضى القبيلة والقوانين العرفية، وكذلك من يشاركهم .	من أراد أن يهدم قوانين الساقية فالله حسيبه .

III. عدالة توزيع منابع الماء بساقية واحة أسكا (42)

ينقسم مجال حوض ساقية أسكا إلى صفتين: اليمنى يطلق عليها اسم تاخلطيط/الخط، والضفة اليسرى تسمى تركى وساي، هذه الأخيرة هي التي استقطبت تجدد الغور السكاني والتجمعات البشرية التي شكلت مربط الفرس في بحثنا عن مرجعيات السبق التاريخي لعدالة تقسيم منابع عيون واحة أسكا في مراحلها الأولى:

شكل رقم 3: رسم توضيحي لتنظيم وتوزيع مجالات السقي بواحة أسكا (43)



1. ساقية تركى وساي بالضفة اليسرى

لقد كشفت المقاربة السابقة بين الروايات الشفوية المحلية والكتابات التاريخية عن محاولة البحث عن مرجعيات أصول عملية السبق لقسمة وتوزيع ينابيع مياه ساقية واحة أسكا - تركى وساي - إلى التجدد المسترسل لظاهرة الإستيعاب التي عرفها الغور السكاني لاستثمار مؤهلات وخصائص مجال الواحة. إذ أن وضع الاستقرار وتفعيل عملية التوزيع رهين بعماراة الأرض والذود عن المصالح المشتركة للقبيلة، إضافة إلى طبيعة العامل الطبوغرافي الذي جعل الساقية تستفيد جغرافيا من تصريف منسوب صبيب مياه روافد أودية واد نون التي تصب بواد أسكا، وتغذي عيون بومرصيدن وأسرصار المتجمعة بالعالية «البراج» عند بداية إشراف جبل بوسمكمان، نقطة بداية طبوغرافية واد أسكا، قبل أن يتم تصريفها بقناة التوزيع في اتجاه القنوات/

(42) التحري الميداني ولقاءات مع مسنين وفاعلين بجمعية مستغلي مياه حوض تركى وساي صيف 2010.

(43) المصدر: المخطط الجماعي للتنمية: 2011/2015 مأخوذ من أرشيف الجماعة القروية تركى وساي.

المصارف ثم التواغيل، بحيث تمكن هذه العملية من تحويل وتصريف: 36 تيرمت، وهو ما يعادل 432 ساعة، مداومة على مدة زمنية محددة في 18 يوما، وموزعة على الفرق المكونة للقبيلة والدواوير السكنية التي تشملها الإستغلاليات بمحيط ساقية الضفة اليسرى. وللوقوف على كيفية توزيع هذه الحصص ارتأينا تلخيص الجدولة أسفله موجزة وشاملة عن قسمة الماء بحسب الحصص، وبحسب الفرق المستغلة لدورة الماء بساقية تركى وساي:

جدول رقم 3: جدولة توزيع حصص الماء على الفرق بساقية تركى وساي/الضفة اليسرى

اسم الحصة	الحصة بتيرمت	مقابلها بالساعة	الفرق المعنية
أوكيزي	7	84	كيوارة
مستي	7	84	إذ بها وسعيد
اعلي واعمر	6	72	إذ ايوب
ايكرامن	6	72	ازناكة
لخراج	6	72	إذ ياكو
الجمعة	4	48	إذ بها وسعيد
المجموع	36	432 / 18 يوما	

جدول رقم 4: جدولة توزيع الماء بحسب الفرقات والدواوير

اسم الفرقة	الحصة بتيرمت	مقابلها بالساعة	الدواوير المعنية
إذ أيوب	13	156	ام تلكاتين، ام تفرضين، عبودة، ايكروموسى، تاروميت، دار او طالب
أزناكة	8	96	ام تلكاتين، ام تفرضين، عبودة، لحراطين،
اد بها وسعيد	6	72	ام تلكاتين، ام تفرضين، عبودة، ايكروموسى، تاروميت، دار او طالب
ادياكو	5	60	ام تلكاتين، ام تفرضين، عبودة، ايكروموسى
كيوارة	4	48	ام تلكاتين، ام تفرضين، عبودة، ايكروموسى، تاروميت، لحراطين
المجموع	36	432	

2. ساقية الخط/تاخليط بالضفة اليمنى

يعتبر العرف المنظم لساقية الخط المنجز في: 10 فبراير سنة 1959م ، المتنفس التاريخي الوحيد الذي يؤهل من خلال قراءته لفهم واستقراء نموذج السبق إلى عملية توزيع ينابيع الماء بمجال واحة أسكا. كما يضمن ويحدد طبيعة العلاقة القائمة بين ثنائية الأرض والماء وفق العناصر التي تضبط استغلال المجال والتجاوزات التي تعيقه وكيفية معالجتها. كما يؤرخ ، بإشارات مبسطة كيفية تطبيق العمل وتوزيعه بين الكوامين ، وكيفية إنجاز وبناء الساقية وتوزيع صبيب مائها على المجال المسقي المستصلح.

وتتحكم ساقية تاخليط في سقي استغلاليات الضفة اليمنى ، عن طريق ثلاثة حصص متساوية ، تستفيد مناوبة من صبيب المياه الفائضة عن ساقية تركى وساي والمحولة من عيون بومرصيدن واسرسار لواد أسكا. ويعمل على جمعها حاجزي اكوك و بوسولين قبل تحويلها للسواقي تم التواغيل . وتمكن هذه العملية من تصريف حوالي: 24 تيرمت ، وهو ما يعادل 288 ساعة مداومة على مدار 12 يوما . تستفيد منها استغلاليات الضفة اليمنى وللوقوف على كيفية توزيع هذه الحصص ارتأينا تلخيص الجدولة أسفله موجزة وشاملة عن قسمة الماء بحسب الحصص ، وبحسب الفرق المستغلة لدورة الماء بساقية الخط .

جدول رقم 5 : جدولة توزيع حصص الماء على الفرق بساقية الخط/الضفة اليمنى

اسم الحصة	الحصة بتيرمت	مقابلها بالساعة	الفرق المعنية		
الثلاث الفوقاني	6	72	كيوارة	اذ بها وسعيد	اذ ايوب
الثلاث الوسطاني	6	72	كيوارة	اذ بها وسعيد	اذ ايوب -
الثلاث التحتاني	6	72	كيوارة	اذ بها وسعيد	اذ ايوب -
سيدي ينو	6	72	كيوارة	اذ بها وسعيد	اذ ايوب -
المجموع	24	288/12 يوما			

جدول رقم 6 : جدولة توزيع الماء بحسب الفرقات والدواوير :

اسم الفرقة	الحصة بترمت	مقابلها بالساعة	الدواوير المعنية
اذأيوب	9	108	سيدي ينو ، الملعب ، لعريكيب ، بوخربان ، فم أكني
كيوارة	6	72	سيدي ينو ، الملعب ، لعريكيب ، بوخربان
اذبها وسعيد	6	72	سيدي ينو ، الملعب ، لعريكيب ، بوخربان
أزناكة	3	36	فم أكني
المجموع	24	288	

3. ملخص عن توزيع مياه الساقية بواحة أسكا(44)

من خلال نتبعنا لاستقراء جدولة استغلال مرفق مياه ساقية واحة اسكا: ساقية تركي وساي وساقية الخط ، وعلاقتهم بفروع فخذات الفرق المكونة لقبيلة اصبوييا بأسكا ، نسجل بامتياز ، وجود تركة تاريخية مهمة لاستثمار الإرث التاريخي لمياه السقي ، والذي خضع لتقنين وضبط في منتهى الإحكام والدقة وفق عرف يلزم الإجراءات المنظمة لمجانبة الاستفادة منه . وقد حاولنا الغور للبحث عن مرجعيات الأصول التاريخية في مسألة السبق لقسمة مياه عيونهم قصد الاهتمام إلى معرفة بداياته الأولى ، ولو بشكل تقريبي لتعميم الفائدة على المستغلين له ، والذين يتعاملون مع مقتضياته ومصطلحاته المحلية دون الاهتمام بالبحث عن مرجعياته وحساباته المعتمدة في السقي . كما نستكشف في محاولتنا وعلى ضوء المعطيات الواردة بجدولة توزيع الماء ، تفاوتنا بارزا في حجم حصص الماء ومساحة الاستغلال بين فخذات وفروع الكوانين المستقرة ، فحصة الأسد تمتلكها فخذة إذ عبلا و ابراهيم والفرق المكونة لها بما يعادل ثلاثة أرباع مجموع نسبة السقي مع ما تغطيه إجمالا من مساحة الاستغلال . موزعة بالتدرج على إذأيوب ، إذ بها وسعيد وكيوارة . بينما فخذة أزناكة تستغل خمس إجمالي الماء والمستغل ، في حين يتركز الباقي عند إدياكو بنسبة تقل عن عشر حصة الأرض مع ما يسقيها من الماء . والراجح في هذه المقاربة أن إذ عبلا و ابراهيم هم السكان الافتراضيون الذين تعود لهم مرجعية الإشراف على السبق في تملك وحيازة مجال حوض واحة أسكا تبعا لما يسقي الأراضي من مياه منابع وادي اسكا .

(44) Périmètre de Targawassay . Etude de 1ère phase . A2- diagnostic du réseau : SCET-MAROC. 423 TW-A2. Octobre 1992

* إحصائيات المديرية الإقليمية للفلاحة بكلميم عن مجال حوض السقي بتركي وساي .

جدول رقم 7 : جدول تركيبي لتوزيع إجمالي حصص ماء الساقية على القبيلة :

القبيلة	الفخدة	الفرقة	عدد تيرمت	عدد الساعات	نسبة السقي %	نسبة حصة الفخدة %	نسبة مساحة الاستغلال Ha
قبيلة اصبويا بواحة أساكا	إذ عبلا وإبراهيم	إذ أيوب	22	264	37	74	89
		إذ بها وسعيد	12	144	20		
		كيوارة	10	120	17		
	أزناكة	انفاليس ، لمرابطين	11	132	18	18	22
	أذاكو	مجاط ، لعابدة	5	60	8	8	9
المجموع			60	720	100	100	* 120

خلاصة واستنتاج

لقد خالصنا في نهاية مقاربتنا التاريخية حول البحث عن مرجعيات وأصول السبق التاريخي لتوزيع وقسم ثروة ينابيع المياه بواحة أساكا على ضوء القرائن والإفادات الواردة بالروايات الشفوية والكتابات التاريخية وعلاقتها بالدلالة الحسية لمعطيات العرف المحلي إلى الكشف عن مجموعة من القضايا والملاحظات المرتبطة بتاريخ هذا المجال :

□ اندماج وتعايش بنية المكون البشري لمجتمع واحة أساكا بين الصنهاجي والمغربي، والذي تحددت معاملة عبر سيرورته التاريخية في إطار ظاهرة الاستيعاب القبلي خلال مرحلة تكوين تنظيم قبيلة اصبويا بمجالها الجغرافي الضيق، هذا التنظيم افرز نموذجا للتعايش وبأدوار ريادية بين تراتبية حسان المحارب، الزاوي المسالم واللحمة.

□ تميز مجال واحة أساكا بخصائص سوسيو مجالية انتقالية ما بين أيت باعمران ووادي نون، ساهمت في خلق نمط سياسي، اقتصادي واجتماعي خاص ومتفرد بين ثنائية الجبل والصحراء والذي ستظهر بوادر تأثيراته في بلورة أحداث تاريخية مهمة بالمنطقة خلال القرن 18 و19.

□ التصاق مرجعية الأصول التاريخية لمسألة السبق التاريخي لعدالة الماء بتعدد تركيبة وبنية التجمعات البشرية، وتعدد ثقافتها واديولوجياتها، والتي حددت تركة لأرث حضاري ونموذجا لتعايش حسان المحارب مع الزاوي المسالم ودورهما في استثمار وقسمة منابع الماء بواحة اساكا.

□ اعتماد مؤسسة اجماعة، كإطار تنظيمي، لوثيقة العرف لضبط عدالة الماء ومجالات السقي على أساس الاستجابة لحاجيات القبيلة وخصوصياتها، لانطلاقه من مبدأ فقهي أصولي يعتبر العرف قانونا صارما لسد الذريعة ومنع التجاوزات، وهو بذلك اجتهاد لتحكيم المنفعة الجماعية المشتركة على المصلحة الفردية، وقياس لضبط التوازنات بين الفرضات المستقرة سواء منها حسان المحاربة و الزاويا المسالمة واللحمة.

□ تضارب إفادات ومعطيات الروايات الشفوية والكتابات التاريخية حول جملة من القضايا التاريخية والظواهر الاجتماعية: زيارة السلطان الأكل للمنطقة، نزوح سيد احمد الركيبي من درعة إلى واد نون، رحيل كل من تنظيم اذاوبلال وأولاد ادريس نحو مجالاتهم الحالية...، وتضارب إفادات إشكالية البحث عن مرجعيات الأصول التاريخية لمسألة السبق لعدالة قسمة منابع الماء مع الدلالات الحسية لمضمون العرف المحلي حول كيفية استثمار مؤهلات وخصائص مجال واحة اساكا بالجنوب المغربي.

إن دراسة التاريخ الاجتماعي لمنطقة واد نون والجنوب المغربي، يجد ما يبرره وما يثير قضايا الجوهرية في مجمل تاريخ المغرب خاصة ما يتعلق بالتنظيمات البشرية واستثمار مجالاتها. مما يدعو الباحث والمهتم إلى ضرورة تعميق البحث في دراسة إشكالية نظريات الاستباق إلى تقسيم منابع الماء بواحات الجنوب، وغربة ما تزخر به الروايات الشفوية والمعالن الصامته والكتابات التاريخية للكشف عن ملابسات وتداعيات تنظيم التجمعات البشرية لمؤهلاتها وقدرتها الإبداعية في مجال الإشراف على تدبير الخصائص الطبيعية لمجالات استقرارها، وتحديد نسبة مساهمتها في تطور مسيرة تاريخ الإنسان المغربي.

الجمعة ٢٨-٧-١٩٥٨

53410
 7650
 5530
 5830
 6890
 4220
 3450
 4220
 4320
 3100
 5750
 6750
 3450
 3675

12-30

و بسم الله الرحمن الرحيم

۳۷۸۲

Handwritten musical notation on a five-line staff, featuring a treble clef and a key signature of one flat (B-flat). The notation includes a series of notes and rests, with some notes beamed together. The handwriting is in Arabic script, and the paper shows signs of age and wear.

2640-1280

1680-1680

4440

Published by Arab Journals Platform, 2013

البيبلوغرافيا

- ♦ إدريس النقوري ، 2009 : «قبائل ايت لحسن». نقلا عن بول مارتى، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى .
- ♦ إدريس النقوري ، 2009 : «أيت لحسن: القبيلة-التاريخ-المواقف» مطبعة النجاح الجديدة ، الطبعة الأولى.
- ♦ محمد المختار السوسي ، 1962 : «المعسول»، الجزء 12، الدار البيضاء .
- ♦ محمد المختار السوسي : « خلال جزولة» الجزء 4 ، مطبعة المهدية تطوان
- ♦ محمد الشرايمي، الموسم الجامعي: 97.98 : «التحولات السياسية والاجتماعية بالمجتمع الباعمراني» بحث لنيل للإجازة في السوسيولوجيا، جامعة محمد الخامس الرباط .
- ♦ مصطفى ناعمي، 1998 : « الصحراء من خلال بلاد تكنة :تاريخ العلاقات التجارية والسياسية» مطابع عكاظ الرباط .
- ♦ مصطفى ناعمي، دت الطبع، تحقيق في «جوامع المهمات في أمور الركيات لمحمد سالم بن الحبيب بن الحسين بن عبد الحي» تحت إشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط .
- ♦ معلمة المغرب ، 1410 / 1989 : «مادة أساكا » الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزء الثاني، نشر مطابع سلا.
- ♦ صدوق محمد أبيه، دت الطبع : «الصحراء المغربية قبل الاحتلال وبعده» .
- ♦ عمر افا، 1996 : « تاريخ أنظمة السقي التقليدي وتقنية تقسيم المياه في أحواز تيزنيت» ضمن أشغال ندوة حول مدينة تيزنيت وباديتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن زهر أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط .
- ♦ غلي المحمدي ، 1989 : « السلطة والمجتمع في المغرب: نموذج ايت باعمران» دار توبقال للنشر .
- ♦ خديجة الراجي ، 2010 : «التجارة الصحراوية ثوابت ومتغيرات» دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى .
- ♦ شفيق أرفاك : «الإصلاح الإداري بقبائل أيت باعمران 1299 - 1311 1882/ - 1894